الجانب العاطفي في أغاني الجبادة

هكذا وكما رأينا تتعدد اغراض هذا النوع الغنائي (أغاني الجبادة) إنها كثيرة ومعبرة، تتميز بعمق المدلول وبساطة اللفظ، كما تعبر عن ثقافة أجيال ناتجة عن تجارب الحياة بكل ألوانها وأشكالها المختلفة والمتباينة، فهي لا تقتصر على الجانب الديني أو الجوانب الاجتماعية والاقتصادية أو غيرها، فالعاطفة الدينية على سبيل المثال قد تنازعها عواطف أخرى تمليها الظروف، وهذا ما نجده في بعض أغاني الجبادة، كما هو الحال في النصوص الاتية:

اني وانت ياعود عذبهْ * * * لثنين مانا هنايا

انت زنينك من الحبل * * * وانا من كحيل السهايا

يخاطب صاحب هذا النص (البكرة) المصنوعة من خشب شجرة تعيش في الصحراء وتعرف باسم (عذبة)، هذه البكرة هي التي يمر عليها الحبل المتصل بالدلو المستعمل في جذب الماء من البئر ونتيجة لمرور الحبل على البكرة فإنه يحدث صوتا موسيقيا معينا بينما يقوم صاحب النص بالغناء حول من يهوى أو يحب، ومن هنا جاء الحوار بينه وبين البكرة حيث قال لها: إنني أنا وأنتِ، نعاني من الآم وحرقة، إلا انكِ تشتكين من الحبل الذي يسير عليك وأنا أشتكي من لوعة الحب من صاحبة العيون الكحيلة.

ياواديا بو سماريح * * * خذيت عقل من جاك رايد

لا فيك متقى على ريح * * * ولا ظل وان الصهايد

الحديث هنا يدور حول موقف عشق، حيث يشير صاحب النص إلى محبوبته التي أخذت عقله ووقع في شباك حبها، ولكنه لم يجد ما يشفيه أو يرضيه، فشبهها بالوادي الذي أتى اليه ليتقي فيه من الرياح وحرارة الشمس، ولكنه لم يجد مكاناً يحتمي فيه من العواصف والرياح ولا ظل يستظل به عند ارتفاع درجة حرارة الجو.

مهبول من زرب الزرب * * * وما تولّه[56] غير تالي

ومهبول من وجع القلب * * * بعد ما سقط فيه غالي

أحمق ذلك الرجل الذي يقيم حاجزا من جريد النخيل، المعروف باسم (الزرب) ولا يقوم بربطه وتوصيله ببعض حتى يثبت ويقاوم شدة الرياح، كما أنه من الحماقة أن تلوم وتظلم قلبك بعد أن أحب من أراد حبها.

في الليل نحلم بلرياد * * * وفي الصبح ماني معاهم

ثاريك يا الحلم كذاب * * * لرياد مبعد جباهم

[56]- ربطه واوصله ببعضه

عندما تكون ديار الحبيب بعيدة عن المحب يزداد الشوق والحنين، يحلم الإنسان بحبيبه طوال الليل، وعندما يستيقظ في الصباح يجد نفسه بعيدا عن محبوبه، فالحلم يقرب البعيد وهو بذلك غير صادق.

سريرا يكيد الدقيني * * * يزازي بكرعيه ضالع

جي دون مرباع عيني * * * اللي خاطري بيه والع

يصف صاحب هذا النص بعد المسافة فهو يقول: إن الأرض التي حالت بيني وبين محبوبي وربيع عيوني بعيدة، وإن الجمل القوي يتعب من السير اليها وتتألم أرجله من التعب.

مليت من المشي والجي * * * وقصرن معاذير لومي

وشاكيت من لاعني بي * * * امشاكات مسلم لرومي

لقد تعب وملّ صاحب هذا النص من التردد على ديار محبوبته وبذل كل جهده من أجل تحقيق أمله، ولكنه لم يتمكن من ذلك وكانت النتيجة أن من يريده لم يهتم به ولم يبادله الحب، فصار كالرجل المسلم الذي يشاكي رجلاً آخر على غير دينه.

تعنيت له وقت نلقاه * * * بمواجعي نشتكيله

لقيته مريّض كما داي * * * يئيناً وكبده عليله

لقد اختار الوقت المناسب لزيارة من يحب، وذلك لغرض مشاكاته بما يعانيه من حب تجاهه، ولكنه وجد هذا الحبيب مريضاً ويعاني من نفس الداء الذي يعاني منه صاحب النص، لقد وجده يئن من ألم الكبد المصابة بلوعة الحب.

سوال النبي كان ريتوه * * * بالله غير اعلموني

ويدّي تسلم على ايده * * * وبالشبح يرْوَنْ عيوني

يتوسل للمسافرين نحو وطن حبيبته، ويناشدهم بأن يعلموه بوجود من يحب ومكانه، ليتمكن من الوصول إليه، وحتى يصافحه بيده وتروى عيونه بالنظر إلى وجه ذلك المحبوب.

الله يخلف على الريح * * * جت خير مني دبارة

سفت كم سمح التدرجيح * * * لين ريت فيه الامارة

لهذا النص قصة: حيث كان هناك رجل يحب فتاة، وكان في ذراعها علامة معينة، فقابلها في أحد الأيام في شارع من شوارع مدينتهم القديمة، وكانت ترتدي لحافا ولم يتمكن من رؤيتها، فتحركت الرياح صدفة وازاحت اللحاف عن ذراع تلك الفتاة، وارتفع كم الثوب، حيث كانت الاكمام واسعة في تلك الأزمنة، وعليه بانت العلامة التي في ذراعها وعرفها بفعل تلك الرياح والتي دعا لها بخير.

اخيه ما مر ريقي * * * واحيه ما مر داهن

شبح الخفا ما لقنه * * * وشبحاً تبين رزاني

في هذا النص يتذوق صاحبه المرارة في ريقه (لعابه) ويحترق من حرارة نار الحب التي تلتهب في جأشه، ثم يبين ولم يتمكن من ملاقاة الحبيب في الخفاء، بعيدا عن أنظار الآخرين. وعندما شاهد حبيبه وجها لوجه، فقد أهلكه ورزاه ذلك الموقف، فهو في كل الأحوال في حيرة من أمره.

بيني وبينك بحر ماء * * * عوميه وإلا نعومه

هيا نعوموه لثنين * * * نشاركوا في همومه

يصف العلاقة العاطفية بينه وبين محبوبته بأنها بحر عميق واسع، ثم يخبرها بأنه تعومه هي أو يعومه هو، ثم يدعوها إلى العوم أو الغوص معا ويتقاسمان الهموم والمتاعب.

يامن يقل السلامات * * * للغالية في بيت بوها

سلامك ندزه[57] مع الريح * * * مع هبوبها ينشدوها

[57] - ابعثه او ارسله

يبحث قائل هذا النص عمن يحمل لغاليته السلام وهي في دار أهلها، ثم يقول إنه سيرسل سلامه اليها مع نسمات الهواء عندما تهب والتى ستخبرها بأشواقه وتحياته اليها.

تكيفت ما صارلي كيف * * * كيفاً بلا راي عادم

وكل شي يصير بالسيف * * * غير حبني يا بنادم

يشير هذا النص ان لكل شيء أساسيات وثوابت لا يتحقق الا بها، وان كل شيء ممكن ان يتحقق بالقوة والإرغام ما عدا الحب بين الناس لا يمكن ان يتحقق إلا بالرغبة الصادقة والصادرة من القلوب.

ياريتني طير وانطير * * * في الجو سابل جناحي

نسقط على وين نبغي * * * عللي يداوي جراحي

يتمنى قائل هذا النص ان يكون طائرا محلقا في الجو، ثم ينزل على أماكن من يهوى ويحب ذلك المحبوب، الذي يداوي جراحه التي يعاني منها، وهذا يذكرنا بقول الشاعر العربي:

أسرب القطا هل من يعير جناحه * * لعلي إلى من قد هويت اطير؟

مازال غالي عليا * * ابود وبلا وداید

ولا نرخصه بالف سية ❊ ❊ ولا نتركه للحساييد

تمسك بقوة العلاقة العاطفية النابعة من القلب، حيث يقول صاحب هذا النص، إن محبوبته عزيزة عليه وغالية، بغض النظر عن التوادد بينهما، وانه لا يتخلى عنها ولو أساءت له الف إساءة، ولا يتركها للحساد.

استاقظت في الصبح صليت ❊ ❊ ❊ وخرجت جملة اورادي[58]

وعطيت فاتحة ربح ❊ ❊ ❊ لأم العيون الهوادي

لقد استيقظ هذا الفلاح صاحب هذا النص وأدى صلاة الصبح، ثم قرأ جميع أوراده التي يقرؤها مطلع كل صباح وبعد الصلاة مباشرة، ثم يتوجه إلى الله بالدعاء لمحبوبته صاحبة العيون الهوادي بالربح والصلاح.

يارب عطنا خبر خير ❊ ❊ ❊ قبل المغاريب ياتي

ايجينا ايحوم كما الطير ❊ ❊ ❊ يزهي نظر قايداتي

يسأل الله تعالى أن يعطيه خبر خير مفرحا، يأتي إليه قبل وقت المغرب، يخبره عن أحبابه اخبار طيبة تزهو بها عيونه ويفرح بها قلبه.

[58]- قراءات وتسابيح دينية

انتم تقولوا برينا * * * واحنا من الدا علايل

كان ياغوالي اتجونا * * * علينا تنالوا جمايل

يخاطب صاحب هذا النص أحبته، حيث يقول: أنتم تقولون إنكم في هناء وصحة وراحة، ولكننا نعاني من داء الفرقة والشوق ثم يطلب منهم: لو انكم أيها الغوالي الاعزاء تأتون الينا فإنكم تعملون فينا عملا طيبا وتتحصلون منا على جميل مقابل معروفكم الذي قدمتموه لنا.

اني في ضميري نحسه * * * كمى قدر يجلب فوارا

كميته ونبغي ندسه * * * على الوجه يظهر غيارا

يقول إنه يعاني داخل ضميره من نار الحب، وأصبح مثل القدر الذي يغلي، ثم يقول إنه أخفى ذلك الحب عن الغير ولكن ظهر أثره على الوجه، ومن المعروف ان الوجه هو عنوان صاحبه، وهذا ما نؤكده في التعبير التالي:

كان جيت تنشد على الحال * * * الوجه يعطي الامايز

كان في شر مذبال * * * وان كان في خير ناير

من قالك نوض في الصبح * * * ومن قالك حل عينك

ومن قالك تشبح الزين ❊ ❊ ❊ اللى ليعك في كنينك

العين غالبا ما تقود صاحبها إلى مواطن الهوى، وها هو يسأل نفسه كيف أطلق العنان لعينيه حتى انها شاهدت (الزين) أي الجميل لوعه، بجماله فوقع في غرامه.

يا عين خليك عنه ❊ ❊ ❊ كثر البكا والغريدي

غير اطلبي فظل مولاك ❊ ❊ ❊ ايقرب جبا من تريدي

ينصح عينه بترك البكا والصراخ، ويطلب منها أن تسأل الله تعالى ان يقرب منها حبيبها الذي تريده وتهواه.❊❊❊❊

❊❊❊